مجلة المجمع العلمي العراقي

المجلد السابع والعشرون

٢٧

١٣٩٦ هـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٧٦ م

التعريب والاصطلاح

الدكتور
أحمد عبد الستار الجواري

قد يتساءل كثير من الناس ماذا نصنع تجاه هذا السيل الغزير المتدفق من مصطلحات العلوم في فروعها المتعددة وميادينها المختلفة ؟ أنلجأ إلى قبول الألفاظ كما هي في اللغات الأجنبية اكتفاء بها ودفعاً لمشقة البحث عما يقابلها في العربية ؟ أم نعود إلى المعاجم نستنبط منها ألفاظاً قريبة في معانيها من معاني تلك المصطلحات أو موصولة الأسباب بتلك المعاني ولو على سبيل الدلالة المجازية؟ أم نتحرى الفصاحة والأصالة ونتلمس في قديم الألفاظ ومهجورها ما يتصل بتلك المعاني ولو بأوهى الأسباب

أسئلة يطرحها كل يوم واقع الحياة الفكرية المتجددة التي يتسارع سيرها حتى لا يكاد التأمل والتفكير يلاحقها أو يلحق بها .

وفوق كل ذلك يقوم سؤال كبير خطير الدلالة والإيحاء .

هذا السؤال هو : كيف يمكن للعربية أن تبرز للحياة الفكرية المعاصرة فتستوعب ما تطلع به من جديد كل يوم ؟ وكيف يمكن العمل على إثراء الفكر العربي بالمفاهيم الجديدة ومدلولاتها ومعانيها بأن يوضع لتلك المفاهيم ألفاظ عربية يحسّ معانيها ويدرك مدلولها ، العربي الذي يتحدث العربية سواء كان مختصاً معنياً بالعلم أم كان آخذاً بحظ من الثقافة العامة ؟

يقول الذين يتتبعون ما يكشف عنه العلم وما يطلع به من مفاهيم وأفكار جديدة إن ملاحقة ما يصدر من تلك المفاهيم والمسميات يقتضي عملا دائباً متصلا لا يفتر ولا يتوانى ولا يتوقف بحال من الأحوال . ولذلك تراهم يشكون من تباطؤ الهيئات والمؤسسات العلمية ولاسيما المجامع اللغوية التي هي المسؤولة أولا وأخيراً عن اللحاق بركب التقدم العلمي في العالم حتى لا يلقى على اللغة العربية جريرة التخلف والعجز عن استيعاب العلوم وألفاظها ومفاهيمها ومصطلحاتها .

وكثيراً ما يشكو هؤلاء من اختلاف الأقطار في وضع مصطلحات العلوم أو تعريبها على الأصح ، وينادون في لهفة ونفاد صبر بلزوم العمل على توحيد المصطلح وتلاقي الجهود المشتتة بين الأقطار العربية وتوجيهها وجهة واحدة حتى لا تتبلبل الأفكار ويضيع الدارسون في تيه من السبل المتفرقة .

ومعلوم ان تفرق السبل يأتي من تفرق الاجتهاد وتنوع أساليبه والأسس التي عليها يستند . فمن الناس من يجعل المعاجم وما بين دفتيها من ألفاظ جل وكده وغاية همه ويرى في الخروج عليها عبثاً باللغة وافتئاتاً على أصولها .

ومنهم من يذهب إلى أن ألفاظ العلوم الحديثة جديدة على العربية طارئة عليها فلايعقل أن ينقب عما يقابلها في المعاجم . حتى اذا وجد ذلك وجده بعيداً عن أذهان المتخصصين والدارسين ، بعيداً عن القدرة على النفاذ في صميم الفكر العلمي ، عاجزاً عن أن يفرض نفسه على الناس بديلا للمصطلح الاجنبي . وبين هؤلاء وأولئك تضيع على الفكر العربي فرص ثمينة وتزداد مشكلات التعليم بالعربية تعقيداً على تعقيد .

لابد اذن من وسيلة أو وسائل يحل بها هذا التناقض ويبلغ بها المعنيون بأمر المصطلح العلمي محجة واضحة لاخلاف على الالتزام بها والالتقاء في رحابها بدءاً وانتهاء .

ولابد لهذه المحجة الواضحة من معالم شاخصة يهتدي بها السالكون . ولعل من أهم هذه المعالم أن يكف الأساتذة المختصون باللغة عن إيثار الحوشي من

الألفاظ مما لم يَعُدْ له في الحياة الفكرية المعاصرة مكان ، وأن يعمدوا الى ما يسهل النطق به على الدارسين وما يصل من حياتهم العقلية وحياتهم الحضارية بسبب ، وفي ذلك اقتصاد في الجهد وتأكيد للبقاء والامتزاج بالفكر . لأن الفكر اذا استوحش لفظاً أو عبارة فإنه لا يلبث أن يحاول نفيها والتخلص منها ، فإذا أقحمت عليه فقبلها ، قبلها كارهاً لها غير مرحب بها وغير أنيس بصحبتها .

واللفظ الأنيس سريع الوصول الى الفكر تهل عليه العشرة وتلذ بها الصحبة ، ولنا في ما اصطلح عليه الكتاب الحكيم من ألفاظ في العبادة كالصلاة والزكاة والبر والصدقة ، وفي التشريع كالعقود والمواثيق ونحوها ، أحسن أسوة في تخير الألفاظ التي يسيغها اللسان ويأنس بها الفكر .

ولقد عاشت تلك الألفاظ وخالدت حتى أصبحت جزءاً من حياة الناس سواء في ذلك من اتخذ منها طريقاً للحياة أم لم يكن كذلك .

ومن أهم تلك المعالم أن يعمل واضعو الأصطلاح إلى أساليب في إثراء اللغة وإغنائها بأبنية جديدة لا يأباها البناء العربي للألفاظ وإن لم ترد بمعانيها الجديدة في معاجم اللغة وفي مظانها الأخرى .

وبيان ذلك ان الفاظاً في اللغات الحديثة تشبه في بنائها وترتيب حروفها أبنية عربية وردت لمعان أخرى بعيدة عن معانيها أو قريبة . مثل لفظ (الكادر) الذي لم يعد ممكناً استبعاده من الاستعمال أو استبدال لفظ آخر به للدلالة على ما يدل عليه من معنى . مادته اللغوية موجودة ولفظه لا يأباه اللسان العربي ولا تنبو عنه الأذن ولكن مدلوله ومعناه شيء آخر مختلف عن معناه في العربية . ماذا يمنع المعاصرين من أن يضيفوه إلى ألفاظ الحضارة الحديثة ولو عملا بقول القائل :

« إذا كنت مأكول الطعام فرحب »

ومثل ذلك لفظ (الكبينة) للدلالة على الحجرة الصغيرة التي تقام لحاجات معروفة ككبينة الهاتف وكبينة الاستعلامات ونحو ذلك . وأمر هذه اللفظة أهون وأيسر فإن مدلولها اللغوي قريب من المدلول الذي تستعمل له في أيامنا هـــذه . ومثلها المكينة .

وإذا كانت العربية قد عرفت في عصور ازدهار الحضارة ما يقال له المولد من الألفاظ فإن هذا العصر وما يجدّ فيه أولى وأجدر بأن يحمل أهل اللغة على توليد الألفاظ مما لا يأباه البناء العربي للألفاظ ، فيكون في ذلك إثراء للغة ومواكبة لما يستحدث من مفاهيم في العلم وفي سائر فروع الحياة والحضارة .

على أن ثمة أمراً آخر يشير إلى مقدار ما تركت العربية من آثار في اللغات القديمة كالاغريقية واللاتينية . فإن كثيراً من الألفاظ والاصطلاحات العلمية قد نقلت عن العربية إلى هاتين اللغتين وصار الذين أخذوها من أهل اللغات الحديثة ينسبونها إلى الاغريقية أو اللاتينية وهم يجهلون الأصل الذي إليه تعود .

من هذه الكلمات ما يعرف في علـــوم الطب والوراثـــة بـ (Gyamete) وهو عنصر الإخصاب في مادة التناسل . ومن العجيب أن معاجم اللغات الأوربية تنسبه إلى الاغريقية . والأعجب أن لفظ (قمط) يستعمل للدلالة على هذا المعنى حتى في اللهجة العامية العراقية . ومن يرجع إلى المعاجم العربية يجد القميط بهذا المعنى العلمي أو قريباً منه . وهو لهذا جدير بأن يأخذ مكانه في مصطلحات العلوم .

ومثله في هذا الباب ألفاظ عديدة يكفي أن يلتقي فيها البناء اللفظي في اللغة الأجنبية مع مثيله في العربية . كالنقرة (Nicrosis) والأكمة و(Acme) للدلالة على نفس معانيها أو قريب من تلك المعاني . ولا غبار على هذا الأسلوب في التعريب فقد قال أسلافنا قولتهم المشهورة (لا مشاحّة في الاصطلاح) .

إن ثمة حقيقة ماثلة شاخصة لا سبيل إلى التغاضي عنها وهي أن اللغة العربية لغة شقيقة كبرى من الوجهة الحضارية والثقافية والفكرية للغات الإسلامية كالفارسية والأوردية والتركية وأمثالها مما تنطق به شعوب إسلامية يتلى فيها كتاب الله العزيز آناء الليل وأطراف النهار . وهـــذه اللغات تنظر وتنتظر ما يفعله العرب بالاصطلاحات العلمية حتى تفسح له في لغاتها مكاناً ومجالا للتداول والاستعمال . وأي تباطؤ أو

تلكؤ أو إهمال يصرف هذه اللغات الشقيقة إلى اللغات الأجنبية . وهي قد تكون أقرب إليها نسباً ولكن العربية قد أصبحت جزءاً منها فكراً وعقيدة وثقافة وحضارة .

وبعد فإن الاصطلاح العلمي ما عاد أمره مقصوراً على المختصين في ميادين العلم والمعرفة ، لغة يرطنون بها في معزل عن المجتمع الواسع الذي يعيشون فيه ، ويمارسون فيه علاقات إنسانية فكرية وشعورية، وهو يتسم اليوم بالتفتح والانطلاق ويأبى على أهل العلم والمعرفة أن يكونوا طبقة متميزة محدودة الصلة بمن حولها من الناس . وصار لزاماً عليهم أن ينهضوا بجانب من تبعات الثقافة العامة التي يتشوف إليها كل مواطن أصاب حظاً من التعليم العام يتطلع من خلاله إلى الإحاطة بما يدور حوله في هذا العالم من تقدم العلم والتقنية الحديثة .

وإذن فإن قضية التعريب والاصطلاح وظيفة علمية اجتماعية لا بد أن تحظى بالعناية اللازمة والاهتمام الكبير .ويحسن بالمجامع اللغوية بل يلزمها أن تتذاكر هذا الامر المهم لتقيم أساساً لعمل موحد وترسم اسلوب العمل حتى تتدارك ما فات وتلحق إن شاء الله بما هو آت ،

وعليها أن تتجنب ما توعر سبيله على الدارسين وما استثقلته الألسنة وعافه الاستعمال من غريب اللفظ وحوشيه .وأن لا تؤثر ما يؤثره بعض المتخصصين من نقل الألفاظ الأجنبية كما هي ضناً بالجهد في البحث عن ألفاظ عربية سائغة مقبولة بل صدوداً عن مزايا العربية وقدراتها في الاشتقاق والتصريف وفي اتباع سبيل السلف في أخذهم بأساليب موفقة كل التوفيق في اكتشاف المصطلح كإضافة السوابق واللواحق واستعمال المصدر الصناعي بإضافة ياء النسب متبوعة بهاء التأنيث . فقد قالوا اللانهائية والقدرية والجبرية ونحو ذلك كثير .

إن جهوداً قيمة في هذا الميدان قام بها ويقوم بها المختصون من المجمعيين

وغيرهم ، لو جمعت لخرج منها ثروة فكرية واسعة ضخمة ، ولو أن هؤلاء الأفاضل تلاقوا على أساليب العمل وأهدافه وضموا الجهود بعضها إلى بعض لقدموا إلى الفكر العربي خدمة جليلة .

ولو أنهم عمّقوا الشعور بالحاجة إلى المصطلح العربي ليكون أداة العمل العلمي العربي المعاصر لبلغوا من هذا الأمر فوق ما بلغوا حتى الآن . وإذا صدق العزم وضح السبيل .

احمد عبد الستار الجواري